تمثيلات الربيع العربي في الخطاب الروائي الأنثوي في دول شبه الجزيرة العربية والثيم المرتبطة به

*أحمد بن سليم العطوي**

ملخص

شغل الربيع العربي حيزاً كبيراً من النقاش في الثقافة العربية في العقد الثاني من هذا القرن؛ ولأن أدب المرأة العربية مكون أصيل في هذه الثقافة، فقد سعت هذه الدراسة للبحث في حضور الربيع العربي في كتابة المرأة الروائية في دول شبه الجزيرة العربية من خلال إيضاح آلية مقاربة الكاتبات لثيمة الربيع العربي وارتباطها بثيم أخرى كالخوف والفساد والظلم والحرية واليأس. والروايات موضع الدرس هي: رواية (هل أتاك حديثي) لزينب حفني، ورواية (في كهف الجنون تبدأ الحكاية) لزوينة الكلباني، ورواية (فلتكوني بخير) لأروى الوقيان، ورواية (خلف الشمس) لبشرى المقطري، ورواية (بئر زينب) لندى شعلان، ورواية (سوق علي محسن) لنادية الكوكباني. تقارب الدراسة هذه الروايات من وجهة نظر أنثوية..

الكلمات الدالة: أدب المرأة، دول الخليج، اليمن، الربيع العربي.

المقدمة

حين بدأت هذه الفكرة البحثية كان مقررا لها أن تتناول حضور الربيع العربي في الخطاب الروائي الأنثوي في دول الخليج العربي والثيم المرتبطة به، هذا الحضور الذي يتفاوت من كاتبة إلى أخرى، فمرة تأتي الإشارة إليه عابرة، كما في رواية (أنا سنية وأنت شيعي) للكاتبة السعودية ساره مطر، إذ تقول الكاتبة في المقدمة:" انتهيت من كتابة هذه اليوميات في منتصف عام 2007م، أي قبل أن تظهر ثورة الربيع العربي...أي قبل أن تشتعل أوطاننا بثورات وحروب طائفية كانت أو سياسية" (مطر، 2013)، وهذه الإشارة لا تضيف قيمة للعمل الذي هو أقرب لليوميات من الرواية. ومرة يسجل قدرا أكبر كما في رواية زينب حفني (هل أتاك حديثي؟)، إلا أنني قررت لاحقا توسيع دائرة البحث ليشمل اليمن فكان لزاما تغيير العنوان ليصبح (تمثيلات الربيع العربي في الخطاب الروائي الأنثوي في دول شبه الجزيرة العربية والثيم المرتبطة به)، وذلك لسببين:

أولاً– قلة حضور الربيع العربي في الروايات التي تُكتب من قبل المرأة في الخليج؛ إذ لم أجد سوى ثلاث روايات تضمنت إشارات للربيع العربي على تفاوت فيما بينها، وهذه الروايات هي: رواية (هل أتاك حديثي؟) للروائية السعودية زينب حفني الصادرة طبعتها الأولى عام 2012م، ورواية (في كهف الجنون تبدأ الحكاية) للروائية العمانية زوينة الكلباني الصادرة في طبعتها الأولى عام 2012م، ورواية (فلتكوني بخير) للروائية الكويتية أروى الوقيان الصادرة في طبعتها الأولى عام2016م.

ثانياً–استمرار تجاهل الدارسين العرب لجهد المرأة اليمنية الروائي، بالرغم من الحضور الجيد للربيع العربي في كتابات المرأة اليمنية إلا أن حضور هذه الروايات ضعيف في دراسات النقاد العرب، فعلى سبيل المثال نجد رشا عبد الفتاح محمد جليس في ورقتها البحثية الصادرة حديثا عام2018م تقول:" ومن الجدير بالذكر القول في ذات السياق أن النتاج الروائي بدا شحيحا في بعض الدول في تصوير وتجسيد المشهد الثوري حيث اتسمت اليمن وتونس بشح النتاج الروائي، إذ لم تعثر الباحثة على نماذج روائية للمشهد اليمني..."(جليس، 2018).

وهذا الزعم لا يمت للحقيقة بصلة –فبعيدا عن الروايات التي كتبها الروائيون اليمنيون لكونها تقع خارج إطار هذا البحث –قاربت هذه الدراسة ثلاث روايات كتبتها روائيات يمنيات وفيها حضور ملحوظ للربيع العربي في اليمن، هذه الروايات –مرتبة حسب أسبقية النشر–هي: (خلف الشمس) للروائية بشرى المقطري الصادرة في طبعتها الأولى عام 2012م، ورواية (بئر زينب) للروائية ندى شعلان الصادرة في طبعتها الأولى عام 2015م، ورواية (سوق علي محسن) للروائية نادية الكوكباني الصادرة طبعتها الأولى عام 2016م.

وسوف تُقسم هذه الدراسة إلى ستة مباحث، سيعرض الأول منها لكيفية تصوير الكاتبات للربيع العربي في الروايات موضع

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تبوك، السعودية. تاريخ استلام البحث 2019/5/4، وتاريخ قبوله 2020/2/19.

 ©2021 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الدرس، وسيناقش الآلية التي اتبعتها الكاتبة العربية في هذا الجزء من الوطن العربي حين قاربت ثيمة الربيع العربي. ويتكون المبحث الأول من مطلبين، يعالج الأول منهما الآلية التي اتبعتها الكاتبات الخليجيات حين قاربن ثيمة الربيع العربي على اعتبار دولهن لم تتأثر بموجات حادة من الربيع العربي كما حدث في الأقطار العربية الأخرى، ويدرس المطلب الثاني حضور الربيع العربي في أعمال الروائيات اليمنيات حيث عايشن أحداث الربيع العربي في اليمن معايشة يومية، وتمثل ذلك في تصويرهن ليوميات الثورة اليمنية. يناقش المبحث الأول بمطلبيه بعض التساؤلات مثل: كيف صورت هؤلاء الكاتبات الربيع العربي؟ هل جاء الربيع العربي الثيمة الرئيسية للروايات موضع الدرس أم كان ثيمة هامشية فيها؟ وإذا كان ثيمة هامشية فهل ارتبط ببنية السرد أم كان طارئا عليها؟

وتناقش مباحث الدراسة بعد ذلك الثيم المرتبطة بالربيع العربي وكيف قاربتها هؤلاء الروائيات، فالمبحث الثاني يناقش ارتباط ثيمة الخوف بالربيع العربي، والثالث يناقش ارتباط الربيع العربي بفكرة الفساد في المجتمعات العربية، والرابع يقارب ارتباط الربيع بفكرة الظلم، والخامس يناقش اقتران الحرية بالربيع العربي، والسادس يدرس المزج بين فكرة اليأس والربيع العربي.

وأما فيما يتعلق بالدراسات السابقة التي ناقشت هذا الموضوع فهي قليلة إجمالاً، وهي مرتبة حسب تاريخ صدورها على النحو الآتي: دراسة عذاب الركابي (فرسان الأحلام القتيلة لإبراهيم الكوني الحُلم واقعا) التي نُشِرت في مجلة علامات المغربية عام 2013م، وهي قراءة انطباعية ركزت على إظهار تداخلات الحُلم بالواقع في الرواية وربطها بالربيع العربي في ليبيا. فالركابي يصف الرواية قائلا:" رواية الأحلام القتيلة–رواية الحُلم/الواقع، والواقع/الحُلم"(الركابي، 2013)، وقد أصابت رشا جليس في توصيفها لقراءة الركابي حين وصفتها بأنها: "تتسم بالتركيز على البعد الذاتي والانطباعي في تحليل الروائية وتفتقر للرؤية النقدية والموضوعية" (جليس، مرجع سابق).

وفي عام2014م أصدر شوقي عبد الحميد يحيى كتابه (دور الرواية العربية في الربيع العربي)، وفيه قدم قراءات لمجموعة من الروايات التي عالجت ثيمة الربيع العربي، كان منها رواية (خلف الشمس) لبشرى المقطرى. ركز المؤلف في عرضه لرواية المقطري على بعض الأحداث الروائية التي قارن من خلالها بين الربيع العربي في مصر واليمن (يحي، 2014). وفي صيف 2016م قُدمت ثلاث دراسات للمؤتمر الدولي حول الرواية المنعقد في الجزائر تحت عنوان (الرواية العربية في الألفية الثالثة ومشكل القراءة في الوطن العربي)، وهذه الدراسات هي: دراسة أحمد التجاني سي كبير المعنونة بـ(الثورة التونسية في رواية المستقع للمحسن بن هنية)، ودراسة عبد الرحمن إكيدر المعنونة بـ(صورة الربيع العربي في الإبداع الروائي المغاربي)، ودراسة فيصل أبو الطفيل بعنوان (رواية الورم لإبراهيم الكوني ونبوءة الربيع العربي). وهذه الدراسات ركزت على الإنتاج الروائي في دول المغرب العربي.

ومن الدراسات التي قاربت الربيع العربي دراسة منال الناطور وعنوانها (التقاطعات الروائية والصحفية السورية الناشئة). وهي دراسة نُشرت في مجلة ألف عام 2017م، وفيها قاربت الباحثة تداخل الكتابة الروائية بالكتابة الصحفية في مجموعة من الإبداع الروائي السوري الصادر بعد اندلاع الثورة السورية، إذ قاربت رواية عدنان فرزات (كان الرئيس صديقي)، وروايتي عبد الله مكسور (أيام في بابا عمرو، وعائد إلى حلب)، ورواية ابتسام تريسي (مدن اليمام)، ورواية سوسن حسن جميل (قميص الليل)، ورواية سمر يزبك (بوابة أرض العدم)، (الناطور، 2017). وأحدث هذه الدراسات دراسة رشا عبد الفتاح محمد جليس، التي صدرت عام 2018م بعنوان (تمثيلات الربيع العربي في نماذج من الروائية العربية المعاصرة)، وفيها عالجت حضور الربيع العربي في أربع روايات هي: رواية(القوقعة) للروائي السوري خليفة مصطفى الصادرة عام 2009م، ورواية (فرسان الأحلام القتيلة) للروائي الليبي إبراهيم الكوني الصادرة عام 2012م، ورواية (يسمعون حسيسها) للروائي الأردني أيمن العتوم الصادرة عام 2013م، ورواية (إنه الدم) للروائية المصرية نوال السعداوي الصادرة عام 2014م. رواية القوقعة رأت فيها رشا جليس مثالا لاستشراف الأدب للثورة السورية قبل حدوثها، ورواية العتوم مثالاً لمعالجة الثورة السورية بعد حدوثها، وأما روايتي الكوني والسعداوي فقد عالجت الربيع العربي في ليبيا ومصر على التوالي.

ويتضح من الدراسات السابقة تركيزها على الإنتاج الروائي الصادر في بلاد الشام، ومصر، والمغرب العربي، وتجاهلها للإنتاج الروائي الذي قارب الربيع العربي وصدر في دول شبه الجزيرة العربية، ومن هنا تكتسب هذه الدراسة أهميتها.

وركزت هذه الدراسة على تحليل النصوص الروائية من منظور أنثوي لبيان تفاعل الروائية العربية مع قضايا عصرها لكشف ما يسميه ربيع مفتاح بالحبل السري، "فالحبل السري موجود بين البيئة والكاتب، وبين الكاتب والنص بكل معانيه البيولوجية والمجازية، فلا يمكن الفصل التام بين البيئة والكاتب..."(مفتاح، 2015)، والنص – كما وضح قبل ذلك إدوارد سعيد في كتابه(العالم والنص والناقد) – جزء من السياق الاجتماعي واللحظة التاريخية التي يُنتج فيها(Said,1983)، والربيع العربي كان حدثا هز الشرق الأوسط برمته، وجعله بؤرة تركيز الإعلام العالمي، فكيف بالمبدعة العربية التي عايشت هذا الحدث إما مباشرة بالاحتكاك اليومي أو عبر

الوسائل الإعلامية المختلفة؟ "فالثورات العربية جعلت للحضور الأدبي بكل أجناسه نكهة جديدة في الأقطار العربية مهما تعددت الاختلافات"(إكيدر، 2016).

و اختيار المقاربة الأنثوية لأدب المرأة في هذا الجزء من العالم العربي جاء لكون الرواية العربية التي تكتبها الروائيات العربيات تمثل حقلا خصبا لتطبيق أفكار المرأة، ففيها مجال رحب لإسماع صوت الطبقات المهمشة في المجتمع، والنساء العربيات بحكم التكوين الثقافي العربي يقبعن ضمن دائرة التهميش مع تفاوت بين الأقطار العربية في ذلك؛ لذا فالمقاربة الأنثوية فعالة في هذا الحقل لأنها تهدف إلى رفع صوت الأنثى "في النص الأدبي بالكشف عن مواطن الصمت والمسكوت عنه، وإعلاء الأصوات الخافتة والمهمشة، مع الكشف عن مواقع القهر والتمييز وتبني موقف داعم للنساء والعدالة والمساواة"(كمال، 2015)؛ لذا ستعمد الدراسة إلى إظهار الحضور الأنثوي في الربيع العربي كما جسدته هؤلاء الروائيات.

المبحث الأول: المطلب الأول: تمثيلات الربيع العربي في الخطاب الروائي الأنثوي في دول الخليج العربي:

وحين قاربت الكاتبة السعودية زينب حفني الربيع العربي في روايتها (هل أتاك حديثي؟) صورت ثورة 25 يناير المصرية. ففي بداية الرواية تصل البطلة فايزة للقاهرة قادمة من جدة قبل بداية الثورة لتسجل للقارئ يوميات الأسبوع الأول من الثورة (حفني، 2012). بالرغم من كون البطلة غير مهتمة بالسياسة إلا أن أحداث الثورة تفرض نفسها على حياة البطلة في القاهرة، فهي حين تُدعى لسهرة تكون الثورة موضع الحديث، والحوار يطرح الآراء السائدة بين المصريين واختلافهم حول الثورة، والكاتبة تلجأ للعامية المصرية إظهارا لبساطة الطرح وشعبية الثورة (حفني، مصدر سابق).

بالرغم من أن الربيع العربي لم يكن الثيمة الرئيسة للرواية إلا أن وصف الكاتبة لجزء من يوميات ثورة يناير في بداية الرواية من خلال ربط ذلك برحلة البطلة إلى القاهرة قد كان مدخلاً مناسباً للحديث عن الربيع العربي في مصر بوصفه جزءًا من الأحداث التي تواجهها البطلة في القاهرة؛ ولذا ظهر الربيع العربي المصري جزءًا من الحدث الروائي وليس طارئاً عليه.

وتعود الكاتبة لثورة يناير المصرية في عدة مواطن أخرى من الرواية، فبعد مرور عام تعود فايزة إلى القاهرة حيث تخبرها ابنة خالتها صفاء عن حال مصر بعد عام من الثورة. تعقد فايزة مقارنة لمصر كما عرفتها قبل ثورة يناير وبعد عام من الثورة، وهذه المقارنة تتضمن العناصر الآتية:

أولاً –من خلال رمزية حجاب صافي بعد الثورة يشير السرد إلى موجة التدين التي سادت بين المصريين خلال مدة الربيع العربي. "لاحظت أنها تضع وشاحا على رأسها. لقطت نظراتي الفضولية. ابتسمت قائلة:((تحجبت منذ عدة أشهر)). لم أعلق"(حفني، مصدر سابق). فايزة هنا تمتنع من التعليق على حجاب صافي، وتكتفي بالصمت؛ مما يوحي بعدم رضا البطلة عن تحجب صافي.

ثانياً –تلحظ البطلة تراجع أعداد السياح الأجانب، فهي حين تذهب لتناول العشاء في منطقة الحسين تقول: "النادلون الواقفون أمام مقاهيهم أو مطاعمهم، يحاولون استمالة السياح الأجانب الذين قلت أعدادهم بعد ثورة يناير"(حفني، مصدر سابق).

ثالثاً –تلحظ البطلة تردي الوضع الأمني بعد الثورة مقارنة بما قبل الثورة، تقول: " حرصنا على العودة حوالي الحادية عشرة. قالت لي صافي في الطريق: ((التأخير خارج البيت هذه الأيام فيه خطورة شديدة، خصوصا أننا سيدتان ولا يرافقنا رجل "(حفني، مصدر سابق). هذه المقارنة تجعل البطلة تحن لمصر ما قبل الثورة. " تنهدت من أعماقي، قائلة: ((أتمنى أن تعود مصر عروسا جميلة، كما كانت على أيامنا))"(حفني، مصدر سابق).

ويتضح مما سبق أن زينب حفني جعلت الربيع العربي في مصر يشغل عدة مواضع من الحدث الروائي، فهو وإن لم يكن الثيمة الرئيسية للرواية إلا أنه حضر في المتن الروائي بشكل واضح. والكاتبة بذلك تدحض مقولة محمد العباس التي يقول فيها: "إن الروائيات في السعودية لم يقاربن الرواية السياسية إلا من خلال تضمين رواياتهن بإشارات عابرة لا تنم عن وعي أو اهتمام بالشأن السياسي، ولا تشير إلى رغبة حقيقية لتخفيف ذكورية التجربة النضالية"(العباس، 2011). إذ لم ترغب زينب حفني في كسر السيطرة الذكورية على التجربة النضالية، فهي بلا شك قدمت مقاربة للربيع العربي في مصر بوعي واهتمام كبيرين.

ولقد خصت زينب حفني في روايتها (هل أتاك حديثي؟) الربيع العربي في مصر بشيء من التفصيل مقارنة بالربيع العربي في البلدان الأخرى، وذلك يعود من وجهة نظري لسببين: أولا –وعي الروائية بتأثير مصر الكبير على بقية الأقطار العربية، ثانياً – الروائية نشرت الطبعة الأولى من روايتها عام 2012م، وهو وقت مبكر للإحاطة بارتدادات الربيع العربي؛ لأن أحداثه كانت متقدة في بلدان عربية أخرى، فالكاتبة أرادت أن تسجل السبق في تصوير أحداث الربيع العربي روائيا فاختارت الربيع العربي في مصر.

وتقارب الروائية العمانية زوينة الكلباني في روايتها (في كهف الجنون تبدأ الحكاية) الربيع العربي في عُمان من خلال شخصية

فارس الذي يقدمه السرد على أنه ابن لقارتين متنافرتين، فوالده ذهب في بعثة لدراسة الهندسة الكهربائية في إيرلندا وعاد بزوجة إيرلندية لم تحتمل العيش في عُمان، فتهرب وتصطحب معها شقيقه الأصغر، يواجه فارس ظروفاً أسرية صعبة، فوالده يضطرب نفسيا حزنا على رحيل الزوجة، وجده صارم أكثر مما ينبغي في تربيته، إضافة إلى معاناة فارس نتيجة دمامة خلقه، وهي سبب يكاد يجعله مذموما من الجميع. لكن فارسا –ورغم وفاة والده منتحرا ووفاة جده حزنا على والده بعد عام–يتمكن من استكمال دراسته الجامعية (الكلباني، 2012)، وخلالها يُنشئ صداقة مع شهاب وصالح، ويشترك معهم في مشروع التخرج المتمثل بإعداد "أطلس جيولوجي لجبال الحجر الشرقي بمقاييس رسم دقيقة"(الكلباني، مصدر سابق)، ولكن سفرهم يتأجل لاستكمال المشروع عدة مرات بسبب المظاهرات الطلابية في الجامعة. هذه التظاهرات الشبابية يصورها السرد جزءا من الربيع العربي في عُمان (الكلباني، مصدر سابق).

ويظهر فارس بعد ذلك وهو يكتب رسالة لأمه يخبرها فيها عزمه على الانتحار، وحين يسكب البترول على ملابسه ويشعل فيها عود الثقاب يفر من نومه مفزوعا ليكتشف أن الرسالة والحرق لم تكن إلا كابوسا مفزعا فيحمد الله ويثني عليه، ويسمع قرعا شديدا على جرس الباب، يكتشف حين خروجه أنه صديقه شهاب الذي يخبره بأنهما تأخرا في الذهاب" لجبال الحجر الشرقي"(الكلباني، مصدر سابق).

فكرة الجنون في الرواية كلها ترمز لاضطراب الحياة في العالم العربي(الكهف)، وعدم سيرها كحياة شعوب العالم الأخرى. يظهر ذلك من خلال هذا المقطع السردي الذي يصف المتناقضات في هذا الكهف. "هنا يختلط الحزن بالفرح، والضحك بالبكاء، والصلوات بالطرب والغناء، متضادات كثيرة تتحالف في هذا الكهف: المنطق والجنون، والقبح والجمال، والواقع والخيال!"(الكلباني، مصدر سابق).

وربط الربيع العربي في هذه الرواية بالجنون واستخدام تقنية الحلم هي محاولة من الكاتبة لتجاوز ردة فعل الرقيب بشقيه: الرسمي والثقافي، ففارس حين يسافر لجبال الحجر الشرقي، ويدخل كهف الجنون ويشاهد أحوال المجانين يعيشون حياة بدائية خارج الزمان والمكان المعاصر يقارن ذلك بالأوضاع في العالم العربي باستخدام تقنية الحوار الداخلي. " سرعان ما ومضت السياسة في ذهنه مرة أخرى، صاح:

– إذن هو اعتصام أو تظاهرة!

وفي رعب أردف يحدث نفسه:

– ولِمَ لا يكونون خفافيش ظلام وخلية تجسس اتخذت من الكهف موئلا تنفث فيه سمومها!"(الكلباني، مصدر سابق).

واستخدام مفردات من قاموس الربيع العربي مثل: (اعتصام، تظاهرة، خلية، خفافيش الظلام، وخلية تجسس) في لحظة تفكير من فارس، وربط ذلك بما يشاهده من اضطراب في كهف الجنون، كل ذلك محاولة من الكاتبة للتأكيد على حضور الربيع العربي في وعي الإنسان العربي سواء اختلف أو اتفق معه؛ لأن النص الإبداعي هو في نهاية المطاف بمثابة خطاب ثقافي تفسيري للواقع الذي يتناوله من جميع جوانبه "بما في ذلك الجوانب الاجتماعية والسياسية والتاريخية والأنثروبولوجية والفكرية والقيمية، وهذه الجوانب التي ينطوي عليها مفهوم الثقافة باعتبارها تجليا لمجمل مظاهر الحياة في المجتمع، ويعتبر هذا المنظور أن النص خطاب ثقافي ينطوي دائما على مفهوم الثقافة كسياق دلالي وشكل رمزي"(أبو رفيعة، 2006).

ويبدو أن من ناقش هذه الرواية من الزملاء النقاد (الغيلاني، 2013) و(العنزي، 2014) أغفل فكرة الرمزية في كهف الجنون، فالكهف – من وجهة نظري –هو رمز للدولة العربية المعاصرة، والشواهد التي تدعم ذلك هي:

أولاً –وجود حكيم للكهف مكون اسمه من خمسة حروف (ميمون)، وهو رمز للقائد العربي المسيطر على دولته، المتفرد بإدارتها. "لاحظ فارس أن كل الموجودات في صومعة ميمون فردية: الألواح، والصخور، ومقتنياته الخاصة مفردة، حتى حروف اسمه خمسة: م ي م ون"(الكلباني، مصدر سابق).

ثانياً –إحالة سبب الجنون لعامل خارجي، وهذه فكرة شائعة بين معارضي الربيع العربي على اعتبار أنه مؤامرة غربية على الشعوب العربية، فميمون يخبر" فارسا بأن هناك وراء الجبل أعشابا تسبب الجنون، أُصيب سكان الكهف بالجنون نتيجة تناولهم عشبة تسببت في حدوث هلوساتهم"(الكلباني، مصدر سابق).

ثالثاً –شيوع فكرة التآمر بين المجانين وعدم ثقتهم في الآخر من خلال شخصية هشام المتخصص في الفيزياء الذي" لا يفتأ يؤكد أن الأقمار الصناعية التي حول الأرض... تخبئ قنابل نووية حرارية يمكن إسقاطها على أي هدف بأية لحظة" (الكلباني، مصدر سابق).

رابعاً –خطبة فارس في المجانين تدور حول الحرية، فهو بعد أن يطمئن لعدم وجود وسائل إعلام تشوه الحقائق يخطب فيهم قائلا:" أيها الأحرار... لقد استعذبت جنونكم وتعلمت منكم معنى الحياة، ومن فلسفتكم أدركت أبعاد الحرية ومرارتها"(الكلباني، مصدر سابق). استخدمت زوينة الكلباني تقنيتي الحلم والجنون حين قاربت أحداث الربيع العربي في عُمان وبذلك استطاعت تصوير الربيع العربي في وطنها دون الاصطدام بالرقابة.

والروائية الكويتية أروى الوقيان تسير على نهج الروائية السعودية زينب حفني في مقاربتها للربيع العربي، فالبطل أو البطلة في كلا الروايتين يسافر للخارج، ومن هناك يبدأ في تصوير مشاهد الربيع العربي. فبطل رواية الوقيان (فلتكوني بخير) فارس بن عثمان صحفي يعمل في صحيفة النبأ الكويتية. ومن خلال عمله يقوم فارس بعمل تغطيات صحفية لمناطق متعددة، منها تغطيات لأوضاع اللاجئين في لبنان والأردن وغيرها. في الأسطر الأولى من الرواية يصور السرد لقاء بين فارس وسيدة عجوز تدعي أم نبيل، يقدمها السرد على أنها من أوائل اللاجئين السوريين في الأردن (الوقيان، 2016)، إذ تقوم بقراءة الكف لنبيل. يُغيب السرد هذه السيدة حتى نهاية الرواية تقريبا عندما يقدم فارس بعض المعلومات عنها، فهي "أم ثكلى، توفي ولدها، وتربي أحفادها الذين نجوا من القناصين في سوريا، سخرت حياتها لهم، رزان وسامر، طفلان لا يتعديان السابعة"(الوقيان، مصدر سابق).

ويتعرف فارس في إحدى سفراته على الصحفية سلمى زيد المهتمة بأوضاع اللاجئين. ترسل سلمى طلبا لفارس لجمع مبلغ 3000 يورو لأسرة لاجئة عالقة في صربيا (الوقيان، مصدر سابق)، وخلال الحوار بينهما يقترح فارس على سلمى أن يستخدما التقنية الحديثة في تغطية أخبار اللاجئين عوضا عن التقارير في الجرائد الورقية التي لا يقبل عليها القراء، ولكون التغطية تتم باستخدام الهاتف المحمول ولا تحتاج لمصورين ولوازم تصوير؛ ساعد ذلك في إقبال اللاجئين وتفاعلهم مع سلمى وفارس، وفي إقبال المتلقين كذلك. ومن خلال حساب أسموه "عيون اللاجئين" (الوقيان، مصدر سابق) استطاعا أن يساعدا العديد من أسر اللاجئين.

وحينما يلغى سفر فارس في مهمة صحفية إلى سوريا عبر لبنان يقترح على رئيس التحرير أن يقوم بتغطية لأوضاع اللاجئين السوريين في البقاع اللبناني. وتكشف هذه الوقفة عن بعض مآسي اللجوء، مثل: قصة مازن ذي الخمسة والعشرين ربيعاً الذي كان يدرس الطب في سوريا ليصبح لاجئا يعيل أخته الأرملة التي قتل زوجها بطلقة قناص ووالدته المقعدة (الوقيان، مصدر سابق)، وقصة ليلى اللاجئة القادمة من مخيم اليرموك مع ثلاثة من أبنائها حيث قصص التجويع حين يقتات البشر على الحشائش ولحم القطط والكلاب (الوقيان، مصدر سابق).

وحين يسافر فارس في رحلة تطوع إلى سريلانكا يلتقي بالمصرية نادية. وحين تتوطد العلاقة بينهما يكشف السرد قصة نادية التي قتل زوجها في أثناء ثورة 25 يناير المصرية (الوقيان، مصدر سابق)، وبرغم فاجعة الفقد إلا أن موته جعل منها امرأة شجاعة، تقول:" لم يكن الأمر بهذه السهولة أبدا، غرقت في حزن شديد لعام كامل، وبعدها تذكرت أن خالدا نفسه لم يكن ليرضى أن يجدني مستسلمة، ولم أشأ أن تكبر ياسمين لترى شبح أم، لذا تحاملت على نفسي إلى أن وجدت السبيل"(الوقيان، مصدر سابق).

وحضور الربيع العربي في هذه الرواية ضعيف، وجاء هامشياً بالنسبة لحبكة الرواية والبناء السردي؛ فالثورة المصرية حضرت في شخصية واحدة وقدمت فيما يقارب الصفحة والنصف بالرغم من إمكانية الاستفاضة في مناقشة ثورة 25 يناير من جوانب مختلفة خصوصاً أن نادية شاركت وكانت شاهد عيان على الثورة، وشخصية أم نبيل كان يمكن أن تقدم صورا مختلفة لمعاناة السوريين في بلدان اللجوء إلا أن قصر نفس الكاتبة الروائي، وحداثة تجربتها الروائية– فهذه الرواية الأولى لها– لم يمكنا الكاتبة من بناء سرد متماسك يقدم للقارئ نقاشا مقنعا لظاهرة الربيع العربي من جوانب مختلفة، وهي الثيمة التي يجب أن تعالج بعمق"؛ لأن العمل الأدبي الرديء يسيء إلى القضية التي يتبناها ويتمحور حولها"(رحيم،2014).

ويتضح مما سبق أن الروائية السعودية والكويتية اختارت أن تعرض للربيع العربي من خلال شخصية بطلة أو بطل يحمل جنسية الروائية نفسها، ويسافر للخارج؛ ليرصد مشاهداته حول الربيع العربي، بينما اختارت الروائية العمانية تصوير الربيع العربي في بلدها عُمان ولكن باستخدام تقنيتي الحُلم والجنون.

المطلب الثاني: تمثيلات الربيع العربي في الخطاب الروائي الأنثوي اليمني:

استمدت الروائيات اليمنيات شخصياتهن الروائية من اليمن وتاريخه، وجعلن أرض اليمن مسرحا للأحداث الروائية في أعمالهن. ففي رواية بشرى المقطري (خلف الشمس) تلعب شخصية يوسف دور الثأر الذي يقدم التاريخ الحديث لليمن، وهي شخصية روائية ناقمة على السجان خميس الذي يتولى تعذيب يوسف بعد أن اعتقل بعد انهزام الجنوبيين فيما عُرف بحرب الوحدة عام1994م (المقطري، 2012)، وأُتُّهم بالانتماء الاشتراكي. ومن خلال تناوب أصوات يوسف ويحيى وزوجته في السرد الروائي تضيء الكاتبة

محطات هامة من معاناة اليمنيين على أيدي اليمنيين أنفسهم، وترسم الكاتبة صورا للتشظي في العلاقة بين أهل الجنوب وأهل الشمال، وحروبهم في سبيل الوحدة. كل ذلك يقدم في سياق المقارنة دائما مع يمن الماضي. فخميس –مثلاً– رمز القوة الغاشمة التي تتسلط على رقاب الناس، يصفه والد يحيى مقارنا إياه بإمام اليمن السابق قائلا:" أخبرني يا يحيى هل أكل الإمام ظهرك كما فعل بنا خميس وزبانيته منذ ثورتهم اللعينة"(المقطري، مصدر سابق)، والسرد من خلال شخصية الأب يقارن بين شخصية الإمام ورجال اليمن بعد الثورة الذين يصفهم الأب بأنهم" أولاد اللا أصل"(المقطري، مصدر سابق)، بل الثورة تصبح في نظره مصدرا للعهر،" كنت أسأل ماذا يعني ابن ناس يا أبي؟ ونحن أولاد من؟ يقول أنتم أولاد القحبة، وكنت أغضب وأحسب أنه يقصد أمي. مع الوقت، أدركت أننا كلنا أولاد القحبة نفسها"(المقطري، مصدر سابق).

يستخدم السرد أسلوب التهكم والسخرية حين يقارب أحداث الربيع العربي في اليمن، فالشعب لا يصغي للحكومة حين تحذره من الخروج للشارع. "لكن الشعب غبي لا يفهم. يخرج إلى الشارع ويحدث له ما حدث لآخرين"(المقطري، مصدر سابق)، وهذا الشعب لا يصغي للإعلام الوطني، بل" يصدق الأخبار الصفراء التي تسيء لسمعة البلاد، يخرج فيها رجال بكروش منتفخة يتحدثون عن نهاية الدولة... يريدونه أن يرحل. اللعنة عليهم، من الذي يرحل؟"(المقطري، مصدر سابق). تجاهل المقصود بالرحيل هنا تجاهل مقصود من البطل ويأتي في سياق ازدراء الأوضاع في يمن ما بعد الإمام. وفي موضع آخر يسمه بالرجل الذي يخطب في الشعب قائلا:" أنتم تقرؤون وتقودون السيارات، وتلبسون بناطيل جينز وتأكلون البيتزا. وأما في عهد الإمام البائد فكنتم في قبو مظلم"(المقطري، مصدر سابق)، ولأن هذا الرجل الذي يستكثر على اليمنيين مظاهر التحديث فهم لا يصدقونه وبأسلوب السخرية يُظهر السرد كم هو متسامح مع معارضيه" والرجل قلبه طيب يسامحهم. يريد الحوار معهم، لكنهم مرتزقة، خونة، ما أروعه هذا الرجل!"(المقطري، مصدر سابق). ولضخامة الدعاية الإعلامية لهذا الرجل تمتزج صورته بالوطن والوطن به؛ لهذا يتصوره يحيى بأنه هو الوطن، بل" يصبح الوطن الذي يتحدثون عنه شخصا له ملامحك"(المقطري، مصدر سابق).

وفي حين تضيء المقطري في روايتها جوانب مختلفة من تاريخ اليمن السياسي الحديث، تقدم إشارات أقل للربيع العربي في اليمن، ومن خلال شخصيات الرواية تقدم أيضاً تحليلاً متكاملاً تبين فيه فشل الدولة اليمنية المعاصرة في النهوض باليمن إنسانا ومكانا، وهو ما كان سببا رئيسا من أسباب ثورة اليمن في عام 2011. في المقابل ترصد ندى شعلان في روايتها (بئر زينب) مفاصل مهمة من ثورة الشباب في اليمن أو ما عُرف بثورة 11 فبراير(شعلان،2015) من خلال الحوار بين زينب وخالد، ذلك الحوار الذي يكون المستشفى مسرحا له. إذ تلتقي زينب خالدا حين تقدم لزيارة ابنتها التي وضعت للتو مولودها؛ ولأن الزيارة تتكرر فمدونات خالد اليومية التي تطلع عليها زينب إضافة لرغبة خالد في معرفة ماضي زينب في القرية مربوطا بما يدور حولهما من أحداث، كل ذلك يشكل ثيمة السرد الروائي، غير أن الحوار بينهما يكشف عن خيبة خالد من المآل الذي آلت إليه الثورة (شعلان، مصدر سابق)، كما يعرض لأسبابها التي لخصها بأن اليمني خرج ثائراً "فقط من أجل أن يعيش"(شعلان، مصدر سابق).

والسرد في هذه الرواية يقدم إضاءات كثيرة للربيع العربي في اليمن من خلال اتخاذ المستشفى مكانا للحدث الروائي بالتوازي مع سرد حكاية زينب التي من خلالها تعري الكاتبة سطوة النظام القبلي الإقطاعي في اليمن، فزينب تقع في حب لؤي وتتزوج من والده الشيخ علي، ذلك الإقطاعي الذي يسيطر على كل مجريات الحياة في قريته التي يحكمها بالخوف(شعلان، مصدر سابق) كما يصفه يوسف الذي درس في روسيا وعاد لينشر مقاومة الخوف في القرية، والشيخ علي صورة لحكم الفرد في اليمن، تلك الصورة هي تجسيد لحكم علي عبد الله صالح في اليمن، وطلاب يوسف وخالد أحدهم هم من يشاركون في قيادة الثورة ضد نظام صالح لاحقا(شعلان، مصدر سابق).

وتبدأ نادية الكوكباني روايتها (سوق علي محسن) الصادرة عام 2016م بمقطع يحمل رمزية واضحة لنظام علي عبد الله صالح. فيونس يقف حائرا أمام اضطراب صيصانه، " يسأل نفسه كيف استطاعت الخروج من قفصها. لقد أحكم إغلاقه من شدة حرصه عليها..."(الكوكباني،2016)؛ ولأن العقل العربي مسكون بهاجس المؤامرة فيونس يصاب بالذهول "من حالته ومن حالة صيصانه! من تآمر عليه وعليها!"(الكوكباني، مصدر سابق). ولكن القارئ يكتشف لاحقاً أن ما سبق لم يكن سوى حلم، إذ يستفيق الطفل يونس من حلمه المزعج على صوت والدته التي توقظه من أجل اللحاق بعمله. إن اختيار شخصية الطفل كشخصية رئيسية في السرد الروائي لفتة تعكس رغبة الكاتبة في مقاربة الطفولة المهمشة في اليمن، فيونس تحرمه قسوة الحياة من حقه في التعليم وتجبره على الالتحاق بالعمل وهو مازال طفلا، وهي كذلك محاولة من الكاتبة لاستخدام السرد كأداة لمقاومة التهميش أو "القص كاستراتيجية للمقاومة" (Disch and Hawkesworth, 2016) بتعبير ستون ميديتوري.

وهذه الرمزية التي بدأت بها الرواية تتحول مباشرة في الصفحة التالية إلى توثيق ليوميات ثورة الشباب اليمني عام 2011م،

فالكاتبة تضع 11 فبراير 2011 عنوانا فرعيا في منتصف الصفحة وتتبعه في السطر التالي بكلمة ارحل التي يقدمها السرد على النحو الآتي: "بهذه الكلمة كان يعلو هتاف كوكبة من شباب جامعة صنعاء أمام بوابتها الشرقية منذ سقوط الرئيس بن علي في تونس والرئيس حسني مبارك في مصر. تطاردهم قوات الأمن في كل خروج لهم، تحاول إخماد ثورتهم قبل صعوبة السيطرة عليها"(الكوكباني، مصدر سابق).

ومن خلال يوميات الشخصيات الروائية المشاركة في الثورة التي تأتي تباعاً يوثق السرد مجريات الثورة وآراء اليمنيين فيها، فمثلا يلحظ يونس أن صاحب المحل الذي يعمل فيه يتجنب المرور بالساحة المجاورة لبوابة جامعة صنعاء من الجهة الشرقية التي سماها الشباب "ساحة التغيير"(الكوكباني، مصدر سابق) عند ذهابهم لإحضار الدجاج من المزرعة، ويلعن الثوار ويسمي ثورتهم بـ "بورة الشباب"(الكوكباني، مصدر سابق)، ومهدي الريمي الذي يعمل مع يونس ويكبره في العمر يذهب للساحة ويعجب بأفكار المتظاهرين (الكوكباني، مصدر سابق). كما تقدم الشخصيات العاملة في السوق ومشاركتها فيها، وتوثق الأحداث اليومية من أمثلة سقوط أول شهيد في ساحة التغيير (الكوكباني، مصدر سابق)، وانضمام القبائل للثورة، وتسمية أيام الجمع بأسماء ثائرة مثل: جمعة البداية، وجمعة الغضب، وجمعة الكرامة (الكوكباني، مصدر سابق).

وتنتهي الرواية بتصوير يوم الحادي عشر من مايو حيث قُتل مجموعة من الشباب كان من ضمنهم يونس (الكوكباني، مصدر سابق) الذي قرر مرافقة إحدى المسيرات رغبة في الثأر من النظام الذي كان سببا في مقتل والده. وبالرغم من قصر المدة الزمنية التي تصورها الرواية إلا أن الكاتبة استطاعت أن ترسم صورة لثورة الشباب التي اختطفتها الأحزاب (الكوكباني، مصدر سابق)، وهذا يتكرر كثيرا من خلال مناقشة عسكرة الثورة خصوصا بعد انضمام اللواء علي محسن الأحمر وفرقته إليها ومحاولة شباب الثورة صبحية وكمال وبشرى مقاومة هذه الفكرة (الكوكباني، مصدر سابق)، كما تناقش بعمق محاولة تهميش دور المرأة اليمنية في الثورة (الصايغ، 2008) وما كان ينشره النظام عن الاختلاط في ساحة التغيير واستغلال صالح وحزبه لذلك في وسائل إعلامهم، ومحاولة الشباب الرد على هذه التهمة (الكوكباني، مصدر سابق).

وقاربت الروائيات اليمنيات الربيع العربي في اليمن بصورة مباشرة، إذ حضر في صلب المتن الروائي في أعمالهن الروائية، فيما كانت الروائية الخليجية ترسل بطلها أو بطلتها خارج قطرها ليرسم من خلال مشاهداته صورة للربيع العربي، وإذا صورت الربيع العربي في قطرها –كما فعلت الكلباني – فالتصوير يكون بطريقة غير مباشرة من خلال استخدام تقنيتي الحُلم والجنون.

المبحث الثاني: الربيع العربي وثيمة الخوف:

ترتبط ثيمة الخوف بالربيع العربي ارتباطاً عضوياً، فالخوف كان موجوداً قبل الربيع العربي وأثناء حدوثه واستمر بعده، فالسرد في هذه الروايات رسم صورة للخوف المسيطر على المجتمعات العربية قبل انطلاق الربيع العربي، هذا الخوف امتد على الجسد الروائي من العنوان وحتى آخر مشهد يرسمه السرد، فعنوان رواية بشرى المقطرى – على سبيل المثال– خلف الشمس يحيل لهذا الخوف، فهو كما يصفه شوقي يحيى(2014) "يعني النفي إلى ما لا يعرفه أحد، فكان – على سبيل المثال– يحذر الناس من معارضة الحكومات الديكتاتورية، بأنهم ذاهبون خلف الشمس"(يحيى، مرجع سابق).

والخوف يصور في مواضع مختلفة على امتداد الجسد الروائي، فالسرد يظهر عادات الزعيم القائد(الرجل) وكيف يُجبر نظامه الطلاب والموظفين كباراً وصغاراً على الاصطفاف على الطرق التي يسلكها عند تنقلاته في صنعاء وخارجها(المقطري، مصدر سابق)، والإعلام الوطني يظهرها على أنها عفوية، وكيف يسهم ذلك في صناعة المهابة التي يكتسبها الرجل في نفوس البسطاء، فيحيى – وهو ممثل لهم– يتمنى أن يقبل يد القائد" التي بنت المدارس والجامعات وطردت الخصوم والعملاء ومهدت الطرق ودحرت الخونة"(المقطري، مصدر سابق)، وهكذا يُقرن كل مظاهر التقدم والتطور بالرجل، بل الوطن يضاف إلى هذا الرجل ويُعرف به، فـ"الناس يتحدثون عن مجدك وبلدك ووطنك وجمهوريتك ووحدتك وثورتك وحروبك، وكنت كالشمس تشرق على ربوع البلاد"(المقطري، مصدر سابق)، لكن سرعان ما يكتشف يحيى زيف دعايات الإعلام الحكومي المضلل حين يشترك في حرب صعدة، ويقرر على أثرها الهرب من الجيش (المقطري، مصدر سابق). هروب يحيى من الجيش لا يعني تخلصه من الخوف فهو يبقى مطاردا يعيش على هامش المجتمع.

والخوف يظهر في رواية زينب حفني مقترنا بأحداث الربيع العربي، هذا الخوف يشمل الشخصيات الرئيسية والثانوية، فالخادمة المنزلية–مثلا–تترك عملها المنزلي وتتسمر أمام التلفاز تتابع أخبار الثورة، باديا على ملامحها القلق والخوف من المستقبل، وحين تسألها البطلة تجيب:

(أبدا ياستي فايزة. تعالي شوفي. الدنيا مقلوبة في ميدان التحرير)"(حفني، مصدر سابق). هنا يتحول السرد إلى تسجيل واقعي لأحداث الثورة، فالبطلة تبدأ بالتجول بين القنوات الإخبارية التي" تصور مشاهد مظاهرة (يوم الغضب) كما أطلق عليها المتظاهرون"(حفني، مصدر سابق) حيث الرصد لكل ما يجري في ميدان التحرير ومحيطه ابتداء من توصيف للفئات المشاركة، مرورا بالمطالب وانتهاء بوصف الاشتباك بين المتظاهرين وقوات الأمن (حفني، مصدر سابق).

وهذا الخوف يدفع البطلة لمتابعة ما يجري من خلال التلفاز إذ تلحظ أن قناة CNN بدأت بنقل أعمال النهب والسرقة التي بدأت يوم 29 يناير (حفني، مصدر سابق)؛ مما يسهم في زيادة خوف البطلة وقلقها. ومما يزيد من توتر البطلة طلب حارس العمارة منها إغلاق الأبواب وعدم فتحها لانتشار البلطجة في الحي. ولحرص البطلة على توثيق ردة فعل أهل الحي، تقول: "مددت رأسي من النافذة. كان ساكنو العمارة من رجال وشباب، مجتمعين عند مدخلها. يحمل أفراد منهم عصيا غليظة في أيديهم. منهم من كان يمسك بأسياخ حديدية. حذت البنايات الأخرى الحذو نفسه. لم أعش في حياتي كلها تجربة كهذه"(حفني، مصدر سابق). الخوف كما تصوره حفني مقتصر على الشخصيات النسوية في الرواية، وهو خوف يعكس النزعة الذكورية في الثقافة العربية التي تخشى من الأنثى وعليها في الظروف الطبيعية، وهذا الخوف يزداد وطأة عند غياب الأمن وفراغ السلطة.

في رواية (سوق علي محسن) يظهر السرد كيف استطاع الإعلام الحكومي زرع الخوف بين الناس من مجرد التفكير في التغيير، فمهدي الريمي قرر بدء مشروعه الخاص في ساحة التغيير والمتمثل في عربة لبيع أكباد الدجاج المقلية بدلا من العمل في ذبح الدجاج في سوق علي محسن. ففي الظهيرة يذهب يونس مع صديقه مهدي من أجل شراء العربة، وفي العصر يذهبان بها للساحة، وفي الليل وصف تفصيلي لعودة مهدي لمنزله بعد أول يوم عمل في مشروعه الخاص. إذ يخبر أمه بأنه يبيع للمشترين في ساحة التغيير ويتفاجأ بصفعة منها على وجهه، وبالمحكية اليمنية توبخه قائلة:" (هل سرت عند هولا المتمردين المخربين اللي يشتوا رئيسنا يرحل، يرحلوا هم وإلا يشلوهم الجن!)"(الكوكباني، مصدر سابق)، والمقصود هل تعمل مع هؤلاء المتمردين المخربين الذين يطالبون برحيل رئيسنا؟ فليرحلوا هم أو ليأخذهم الجن، وهي دعوة من الأم بفشل الثورة، ويقدم السرد تفسيرا لموقف الأم، فهي لفقرها وجهلها تتلقى معلوماتها عن الثورة من الإعلام الحكومي؛ لهذا هي تتبنى وجهة نظر نظام علي عبد الله صالح، كما أن ردة فعل الأم تجاه مهدي تظهر مدى خوفها على ابنها، وحرصها على إبعاده عن الثورة والثوار.

ويظهر جليا من تصوير هؤلاء الكاتبات ارتباط الربيع العربي بثيمة الخوف، فالخوف صاحب العربي قبل الربيع وأثناءه وبعده.

المبحث الثالث: الربيع العربي وثيمة الفساد:

ترتبط ثيمة الفساد بصورها المتعددة بالربيع العربي في الروايات موضع الدرس بشكل واضح، فالفساد من وجهة نظر هؤلاء الروائيات قاد المجتمعات للربيع العربي، وكان عاملا مهما من العوامل التي ساهمت في تأزم العلاقة بين السلطة والشعب. يكشف السرد في رواية خلف الشمس الفساد والفقر المنتشر في المجتمع اليمني، فزوجة يحيى تجبرها المديرة على التبرع لإعادة طلاء المدرسة وتزيينها بصور القائد استعدادا لحملة مهرجان النصر، وصاحب البيت الذي يقطنه يحيى يجبره على دفع نصيبه من مساهمة العمارة في احتفالات يوم النصر، والمستشفى الذي يفترض أن يعالج المرضى النفسيين يرسلهم للشوارع في رمضان ليتسولوا، والناس يجبرون على المشاركة في مهرجان النصر، فـ"صور الزعيم الأوحد في كل مكان، الأناشيد وهتافات لحياة الدكتاتور، والناس من زقاق إلى آخر يتحركون في مجال الصوت العالي. رافعين أعلامهم، خرافا حزينة لا تعرف أي وجهة تسير"(المقطري، مصدر سابق).

وتصور هؤلاء الروائيات استمرار الفساد بعد أحداث الربيع العربي، فبطلة زينب حنفي حين تشتعل ثورة يناير المصرية وتشعر بالخوف من القادم تقرر مغادرة مصر عائدة إلى جدة، ولكنها تتفاجأ بكثرة السعوديين الراغبين في مغادرة القاهرة فهي تحت الخوف من دخول وقت حظر التجول، تصل بصعوبة للمطار وحين تشاهد تكدس المسافرين أمام مكتب الخطوط السعودية تقرر اللجوء إلى حيلة تصفها بالمعتادة، وهي تعكس انتشار الفساد الإداري في المطار، تقول البطلة: "دسست في يد أحد منظمي الرحلات ورقتين من فئة المئتي جنيه. أبديت رغبتي في صعود الطائرة التالية المتجهة إلى جدة. عند الساعة السابعة مساء كنت قد صرت على متنها في درجة رجال الأعمال"(حفني، مصدر سابق).

وفي رواية بئر زينب يظهر الحوار عيوب نظام (علي عبد الله صالح) فخالد لا يثق في الأطباء اليمنيين بعد فشل ثلاث عمليات أجريت لرجله مما تسبب في بداية انتشار الغرغرينا، ويحمل فشلهم للنظام التعليمي. "وبالطبع نكون غير منصفين إن حملنا كل الذنب أطباءنا المغلوبين على أمرهم، فالذنب يقع مناصفة بينهم وبين حكوماتنا التي تطلق من جامعاتها الطبية الفاشلة قتلة بترخيص حكومي"(شعلان، مصدر سابق)، والرجل القبلي حين يصر على دخول المستشفى بسلاحه، يراه خالد ضحية للجهل، "فهو في النهاية

ضحية ثلاثة وثلاثين عاما من التكريس الممنهج والمنظم للجهل والعنف"(شعلان، مصدر سابق)، وانقطاع الكهرباء والانفلات الأمني، والاغتيالات وغيرها من الأعمال هي من تدبير نظام صالح لإفشال الثورة(شعلان، مصدر سابق)،"فكل الأزمات في اليمن خلفها صالح"، كما يقول خالد(شعلان، مصدر سابق).

ويقدم الحوار بين زينب وخالد تفسيرا لبعض الأحداث التي وقعت أثناء ثورة 2011، فمثلا يصنف خالد المشاركين في جُمع السبعين نصرة لنظام علي عبد الله صالح إلى ثلاثة أصناف:" الصنف الأول هؤلاء المأجورون الذين قدموا إلى صنعاء للاحتشاد بدافع ما قبضوه من أموال أسهمت باستنزاف خزينة الدولة. والصنف الثاني أولئك الجهلة... الذين قدموا إلى صنعاء لا عن حق وإنما عن خوف. أما الصنف الثالث، فأولئك المنتفعون من فساد النظام الذي ببقائه ضمان لاستمرار مصالحهم غير الشرعية ومآربهم القذرة"(شعلان، مصدر سابق)، ويُظهر الحوار كذلك دور المرأة اليمنية في الثورة "فهي لم تجابه نظاماً سياسياً فاسداً فحسب كما جابهه الرجل، بل جابهت أيضاً نظاماً اجتماعياً قاسياً حاول ساسة النظام البائد تحويره ضدهن بأقذع الأساليب وأقذرها"(شعلان، مصدر سابق).

ورغم تعدد مظاهر الفساد التي تناقشها هذه الروايات، إلا أنها تقرن بشكل واضح بين الربيع العربي وثيمة الفساد، فمن وجهة نظر هؤلاء الروائيات كانت الرغبة في مقاومة الفساد بصوره المتعددة دافعا لبعض الشخصيات الروائية في الاشتراك في مظاهرات الربيع العربي.

المبحث الرابع: الربيع العربي وثيمة الظلم:

تقرن هؤلاء الكاتبات بين ثيمة الظلم وثيمة الربيع العربي، فشخصيات عدة في هذه الأعمال الروائية تشترك في الربيع العربي بسبب الظلم الذي تعرضت له. ففي رواية زينب حنفي تشترك صافي في ثورة يناير بسبب الظلم الذي تعرض له الثوار فيما عُرِف في أدبيات ثورة يناير بموقعة الجمل، حيث استفزها ما تعرض له الثوار من ضرب وقتل مما أدى لوقوع" المئات ما بين قتيل وجريح". تدفع هذه المشاهد صافي للبكاء بحرقة على ما أصاب الثوار، ولكنها لا تكتفي بالبكاء فقط بل تقرر التوجه لمستشفى القصر العيني من أجل التبرع بالدم حيث تصف الإصابات التي تعرض لها الثوار، تقول صافي:" تبرعت بدمي. قدمت يد العون للجرحى المصابين على قدر استطاعتي. تنقلت بين العنابر. رأيت شباباً فقدوا أعينهم، وشبابا بترت أذرعهم وأرجلهم. وشبابا ما بين الحياة والموت نتيجة تعرضهم لإصابات خطيرة"(حفني، مصدر سابق).

وتسهم هذه المشاهد في دفع صافي للمشاركة في ثورة يناير حيث تلحظ اشتراك الشعب المصري بجميع فئاته في الثورة، تقول صافي:" من لحظتها قررت المكوث في ميدان التحرير. هي لم تكن ثورة غلابة فقط! كانت خليطا من طبقات مختلفة"(حفني، مصدر سابق). مشاركة صافي في الثورة وهي المرأة التي لا اهتمام لها بالشأن العام جاء ردة فعل للظلم المتمثل في عنف السلطة.

وصافي لم تكن مهتمة بالسياسة حالها في ذلك حال فايزة، لكن ثورة يناير جعلتها تجد نفسها في قلب الحدث، بل وفاعلة فيه. واشتراك صافي في الثورة جعلها تنسى ألمها بسبب وفاة خطيبها، بل تعده هامشيا مقارنة بألم أمهات الثوار. هذا الحماس الثوري يدفع صافي للاعتراف بتقصيرها في واجبها الوطني قبل الثورة، فهي حالها كحال معظم المصريين منكبة على مشاكلها الخاصة غير عابئة بقضايا الشأن العام، ولكن الثورة وما شاهدته في ميدان التحرير ووقوفها على العديد من النماذج المتفانية في خدمة الوطن كالأم التي فقدت ابنها في بداية الثورة واستمرت توزع الطعام والماء على الثوار، كل ذلك ينعكس إيجابا على نفسية صافي، تقول: "شجعتني بعطاءاتها على التجرد من حب ذاتي... لقد خرجت من هذه التجربة بصافي جديدة. صافي المحبة لأخيها الإنسان، والمترفعة عن كل إغراءات الدنيا"(حفني، مصدر سابق).

وهذا التسامح مع الذات ومع الآخرين جاء نتيجة حتمية لانهماك صافي بالشأن العام والانغماس في معاناة الناس. وتصطحب صافي فايزة لزيارة هذه الأم التي غيرت حياة صافي حيث تجدها فايزة سيدة بسيطة في الستين من عمرها تقيم في منطقة إمبابة، ويظهر هنا أثر الظلم الاجتماعي في توحيد مواقف النساء، فالإبداع الأدبي–كما تقول بام موريس–والرواية جزء أصيل منه يمكن أن يقدم" فهما أقوى للطرق التي يعمل بها المجتمع على نحو غير موات للنساء ومعرقل لمصالحهن. علاوة على ذلك، يمكن تشغيل الأثر الانفعالي للكتابة الخيالية لزيادة السخط على التمييز القائم على أساس النوع، ومن ثم المساعدة على إنهائه"(موريس، 2002).

وفي رواية زوينة الكلباني، وحين يكتب البطل رسالة لأمه يوضح فيها رغبته في الانتحار، يصور فارس في هذه الرسالة بأسلوب ساخر العدالة الاجتماعية السائدة في الوطن العربي، ويخبرها "بأن جسور الثقة والحوار والإصلاح ممتدة بين المواطنين وبين حكوماتهم، وأن العلاقة بين الحاكم والمحكوم موصولة بسلاسل من الحب والعطاءات التي لا تحصى ولا تبلى.. لا اختلاف في

الرأي أو ازدواجية في التعبير... كلمتنا واحدة ومواقفنا ثابتة.. وأرضنا جنات من السلام والتسامح"(الكلباني، مصدر سابق)، ويدعو والدته إلى عدم تصديق الإعلام الذي يصور الشعوب العربية بأنها مضطهدة ويصور مجتمعات العرب بأنها مجتمعات ينخرها الفساد، وينصحها بعدم الاستماع للثوار " فهم مأجورون لا غير، ولهم فيها مآرب أخرى"(الكلباني، مصدر سابق). ويندد فارس في أسلوب ساخر بالحكومات الغربية وردة أفعالها على الربيع العربي التي يصفها بأنها" تجاوزت الخطوط الحمراء"، وأنها تدعو للريبة (الكلباني، مصدر سابق).

وفي رواية خلف الشمس يقدم السرد وصفا للتعذيب الذي تعرض له يوسف على يد المنتصرين في حرب الوحدة، والمعاناة التي وقعت عليه وعلى بقية رفاقه من صغار الحزبيين الجنوبيين الذين لم يهربوا كحال الآخرين، ولم تطالب بهم منظمات اللجان الدولية. يصف يوسف لحظة انتصار الشمال في الحرب قائلا: "ثم دوت الفرقعات الاحتفالية بالعدوانية الأخوية التي دشن مجدها ذلك اليوم... لم أفكر بأننا على حدود وطنين متقاتلين من أجل وهم فكرة الوطن الواحد، كنت بعيدا عن تلك الهوة التاريخية المظلمة، فقط أدركت يومها أن ما حدث لن يصلحه شيء"(المقطري، مصدر سابق). هذا الظلم الذي وقع على اليمني الجنوبي كان مصدره شقيقه اليمني الشمالي المنتصر عليه في حرب الوحدة.

والظلم الواقع على النساء يبدو مضاعفا في بعض هذه الروايات مقارنة بالرجل، والسبب يعود من وجهة نظر هؤلاء الكاتبات إلى ذكورية الثقافة العربية، فالمرأة تعاني من الظلم على مستوى الدائرة المجتمعية الصغرى (الأسرة)، وعلى مستوى الدوائر المجتمعية الكبرى كالحي والقبيلة والمجتمع. في (سوق علي محسن) يظهر السرد معاناة أم يونس – مثالا لمعاناة المرأة اليمنية –من ثالوث المرض والفقر والجهل وهي التي قتل زوجها في حرب صعدة، فـ"دعوة النظام السابق وعلي محسن إلى التجنيد هي سبب ذهاب زوجها للحرب، ليحصل على راتب يؤمن به مستقبلها ومستقبل أولاده"(الكوكباني، مصدر سابق). كما يظهر في المقابل مساندة المرأة اليمنية للثوار من خلال ثلاث سيدات يشترين كمية كبيرة من محل الدجاج الذي يعمل فيه يونس ومهدي من أجل إعداد طعام للثوار. ويقدم السرد أيضا صبحية وبشرى مثالا للمرأة اليمنية المثقفة المنفتحة المشاركة في الثورة والمتطلعة للتغيير. والمرأة تهتم بالسياسة كما تقول سعيدة بن بوزة: "كون وضعها الاجتماعي لا ينفصل عن الوضع السياسي العام، باعتبار أن السياسة هي التي تفرز نوع وأشكال الأنظمة الأخرى: الاجتماعي، الثقافي والاقتصادي، والمتحكمة فيها آليا"(بن بوزة، 2016).

والروائيات اليمنيات يصورن ظلما مضاعفا يقع على المرأة اليمنية بسبب العادات والتقاليد، وهذا الظلم تتعدد صوره وتتنوع أشكاله، فزينب في رواية ندى شعلان تنشأ في القرية، وتفقد والدتها وهي مازالت طفلة، وحين تصبح شابة تتسلل من البيت للقاء حبيبها في حقول القرية ليلا، ولكنها حين تعود يسمعها والدها تتحدث بصوت خافت مع شخص لا يتبين ملامحه في الظلام، فيحاول الأب اللحاق به دون جدوى ويعود ليضرب زينب ضربا مبرحا ويطلب من شقيقته" أن تفحص حالا ابنته وتتأكد من عذريتها وإلا فلن يتوانى عن ذبحها والخلاص من عارها"(شعلان، مصدر سابق)، يحضر الأب سلاحه(جنبيته) وينتظر خارج غرفة شقيقته نتيجة الفحص الجسدي لزينب، وحين تخبره شقيقته بأن زينب عذراء، يقرر فورا تزويجها وعلى عجل من رجل تقدم لخطبتها دون استشارة زينب، "قال ذلك بنبرة قاطعة ثم هوى بخنجره على باب غرفة العمة غارسا إياه فيه"(شعلان، مصدر سابق)، قام الأب بردة فعل حادة وزينب عذراء فكيف سيصبح مصيرها لو كانت نتيجة الفحص الجسدي غير ذلك. عذرية المرأة وارتباطها بشرف الأسرة والعائلة والقبيلة في الثقافة العربية ودور الأم في الحفاظ على عذرية ابنتها حتى ليلة الزفاف من الثيم التي ركزت عليها الروائيات العربيات مبكرا كما يذكر جوزيف زيدان (1995)، وكما ظهرت في أعمال ليلى بعلبكي (الآلهة الممسوخة)، وإبرايزا المعوشي (هل أغفر له؟)، وهالة الحفناوي (هل أخلع ثوبي؟)، وهي أعمال كلها صدرت في ستينيات القرن العشرين (Zeidan, 1995).

وهكذا قرنت الروائيات في دول شبه الجزيرة العربية بين ثيمة الظلم والربيع العربي، وقد حرصت هؤلاء الروائيات على إظهار الظلم المضاعف الذي تتعرض له المرأة العربية تحت وطأة الثقافة المحافظة.

المبحث الخامس: الربيع العربي وثيمة الحرية

اقتران ظهور الربيع العربي بالأمل في الحرية عند الشعوب العربية يظهر في سرد بعض الشخصيات الروائية الرئيسية في هذه الروايات، فهدف الشعوب العربية من ثورات الربيع العربي هو نيل الحرية. يصور السرد في (هل أتاك حديثي؟) شعارات الحرية التي كان يرددها الثوار، وهي شعارات كلها جاءت بالعامية المصرية دلالة على بساطة الثوار والثورة وبعدها عن النخبوية. "كانت مطالب الثوار قد تغيرت. أصبح شعارهم (الشعب يريد إسقاط النظام). الأشعار الحماسية تملأ الميدان. (إحنا هوه في الميدان. قالوا علينا شعب جبان. شدي حيلك يا بلد. الحرية بتتولد)"(حفني، مصدر سابق). يظهر السرد أيضا فرح المصريين برحيل نظام مبارك،

والشعور السائد بين الثوار بانتصار ثورتهم بعد تنحي مبارك. هذه الفرحة بالحرية لا يجدها القارئ في صوت بطلة الرواية فايزة، فهي تغادر مصر حين تعلم أن حركة6 أبريل قررت الاعتصام بمناسبة مرور عام على رحيل مبارك من السلطة، والسرد يظهر قلق البطلة من الأوضاع في مصر، لذا حين تسألها صافي متى ستعود لمصر؟ يكون جوابها "عندما تعود لمصر ابتسامتها"، وهي إجابة مبهمة تدل على عدم رضا البطلة عن أوضاع مصر بعد عام من ثورة 25 يناير(حفني، مصدر سابق).

وفي رواية بئر زينب يكشف الحوار بين زينب وخالد عن روح التفاؤل التي سادت بين الثوار اليمنيين بتحقيق الحرية مع بداية الربيع العربي في اليمن، فمجرد حدوث الثورة من وجهة نظر زينب هو انتصار كبير للشباب اليمني واستحضار وتكريم لمن فقد حياته في سبيل حرية اليمن كشقيقها يوسف الذي يؤكد خالد على زرعه للحرية في نفوس تلاميذه، والذي يصفه قائلا:" لقد عاش من أجل هذه الثورة. لقد عاش فينا. سكنت روحه كلا منا فكرا وكرامة وتوقا للعدالة والحرية والعيش الكريم"(شعلان، مصدر سابق).

وتتفق الروايات اليمنية على دور تعز في الثورة اليمنية كأيقونة للمدينة الثائرة طلبا للحرية فهي المدينة التي بدأت فيها الاعتصامات، وهي المدينة التي نالت جزءا من العقاب حتى بعد توقيع صالح على المبادرة الخليجية، "فذلك التوقيع لم يمنع صالح من الاستمرار في انتقامه من تعز بوصفها المكان الذي انطلقت منه شرارة الثورة، ومواصلة توجيه عدد من الضربات إليها"(شعلان، مصدر سابق)، كما تتفق الروايات على إظهار عيوب نظام علي عبدالله صالح، والروائيات اليمنيات لسن بدعا في ذلك؛ فطه وادي (2002) يرى "أن الروائي حين يطرح نقدا سياسيا لمجتمعه، فإنه– في الوقت نفسه– يُقدم رؤية مستنيرة وملتزمة له. معنى هذا أن الرواية – بحكم مضمونها الاجتماعي–تُقدم نقدا للواقع ورؤية مستقبلية له في آن واحد"(وادي، 2002).

وهروب يحيى من الجيش في رواية خلف الشمس جاء بسبب استخدامه لعقله وتحكيم هذا العقل في مشاهداته اليومية والأحداث التي يمر بها، وهذا يخالف تعاليم الجيش. يخاطب يحيى ذاته قائلا:" أنت أصبحت تفكر، وهذا ليس جيدا كما قيل لك حين انخرطت في المؤسسة العسكرية، قالوا لك فقط اسمع وتعلم، اسمع وأطع، اسمع ولا ترفع رأسك، اسمع وانبطح، اسمع وازحف، اسمع وصفق، اسمع ومت... اسمع...اسمع"(المقطري، مصدر سابق). تحول يحيى من السمع والطاعة إلى التفكير في مشاهداته اليومية في حروب صعدة قادته للهرب ليس من المعركة فحسب، بل من المؤسسة العسكرية كلها طلبا للحرية.

وارتباط ثيمة الحرية بالربيع العربي ارتباط وثيق كما تصوره هذه الروايات، فالشخصيات الروائية اشتركت في الربيع العربي طمعا في حصولها على حريتها من القيود السياسية والاجتماعية المفروضة عليها في المجتمعات العربية.

المبحث السادس: الربيع العربي وثيمة اليأس

القارئ لهذه الروايات يلحظ تسلل اليأس لكثير من الشخصيات الرئيسية في هذه الروايات خصوصا مع تطور السرد فيها واقتراب الرواية من نهايتها، وهو من وجهة نظري يعود إلى الخوف من المستقبل في ضوء المآل الذي آل إليه الربيع العربي في عدد من الأقطار العربية، ولكون بعض هذه الروايات كُتبت في مرحلة زمنية مبكرة وأحداث الربيع العربي لم تتضح معالمها في عدد من الأقطار العربية.

وفي رواية بئر زينب تتمثل مظاهر يأس خالد من الثورة في التمييز بين الثوار بناء على انتمائهم الحزبي، فخالد لا يجد علاجا لقدمه التي سوف تبتر نتيجة الإصابة في الثورة بينما" أحد جرحى الثورة الذي لمحسوبيته على أحد الأحزاب السياسية التي فازت أعقاب الثورة بالحصة الأكبر من أشلاء الوطن، تم تسفيره للخارج من أجل العلاج على حساب الدولة"(شعلان، مصدر سابق). تبدأ الرواية بحوار بين خالد وطبيبه الذي ينصحه بالسفر للعلاج في الخارج، ولكن إجابة خالد تعكس يأسا حادا من المآل الذي آل إليه فهو باع أرضه وأنفقها على علاجه في المستشفيات اليمنية دون جدوى (شعلان، مصدر سابق)، وفي حواره مع زينب يصرح خالد بيأسه واحباطه من المآل الذي وصلت إليه الثورة اليمنية، "كنت كغيري وقتها ممتلئا بالتغيير الحتمي الذي سنحققه إلى أن كانت الخيبة، ولم يتغير شيء. جسدي الوحيد المهدد بالإعاقة كما ترين هو ما تغير"(شعلان، مصدر سابق). وحتى حينما تصدر المحكمة الإدارية قرارا يلزم الحكومة بمعالجة جرحى الثورة لا يؤثر هذا بيأس خالد، فهو يعتقد أنه لا مكان للتفاؤل في اليمن(شعلان، مصدر سابق)، وحينما تطلب زينب من زوج ابنتها مساعدة خالد وتخبره بذلك، يكشف جوابه عن إحباط كبير لأن حقده عليهم ليس بسبب إصابة قدمه، "بل من الغرغرينا التي أصبحوها هم في أطراف اليمن"(شعلان، مصدر سابق). يكشف السرد في نهاية الرواية عن بتر ساق خالد لكن ذلك لا يؤثر في اخلاصه للثورة، فهو قدم جزءا من جسده للوطن (شعلان، مصدر سابق).

وفي رواية خلف الشمس ترسم الكاتبة صورا من اليأس الذي يتسلل للمرأة اليمنية نتيجة معاناتها على المستوى الأسري والمجتمعي، فزوجة يحيى تنتظر الطفل الذي لا يأتي، ولكي تقاوم نظرة الزوج والأسرة والمجتمع تلجأ للطب الشعبي" كنت لسنين طويلة أشرب

منقوع الجرجبر والعسل وحبة البركة...وأبدا لا أحمل، والنساء يغمزن بعيونهم. ها كل هذه السنين ولا تحمل؟ أبلع غصتي وأبتسم لوقاحتهن، الطفل لا يعنيه أبدا"(المقطري، مصدر سابق). معاناة الزوجة من النظرة الاجتماعية نتيجة لعدم الحمل يقابله برود من الزوج، والكاتبة هنا تكسر النمطية السائدة تجاه الرجل في الثقافة العربية القبلية، فالحرص على الإنجاب والقلق من تأخره يؤرق الذكر (الزوج) كما يؤرق الأنثى، لأن إنجاب الأطفال–في العرف القبلي –هو إثبات لرجولة الزوج وحفظ لامتداد الأسرة خصوصا إذا كانوا ذكورا. إن تصوير الكاتبة لعدم اهتمام يحيى بحمل الزوجة تصوير مقصود لسببين اثنين: أولا –تقاوم الكاتبة من خلال هذا التصوير الثقافة الذكورية المسيطرة في المجتمع اليمني، فالمرأة تقلق ويتسلل إليها اليأس من تأخر الحمل في مقابل برود غير مبرر من يحيى. والقلق محاولة أنثوية لمقاومة التهميش. يؤكد زيدان (1995) على أن مقاومة النساء التمييز ضد المرأة يجب أن يبدأ بمقاومة المؤسسات التي تعتمد عليه (Zeidan,1995)، ومؤسسة الزواج في الثقافة العربية القبلية تجعل من الأنثى مجرد تابع للزوج؛ لذا ظهر القلق الأنثوي هنا على أنه نوع من الاحتجاج. ثانيا –عدم تسمية الزوجة هنا يحمل رمزية تصبح فيها المرأة غير القادرة على الإنجاب معادلا موضوعيا ليمن ما بعد الوحدة غير القادر على تحقيق أحلام اليمنيين أو بعبارة شوقي يحيى (2014) يصبح" زواج (العسكر) من(اليمن)، زواجا غير متجانس، ولم يثمر سوى الضغينة والأحقاد، وهو زواج منزوع (الخلفة)"(يحيى، مرجع سابق).

وتنتهي الرواية بمشهد سردي يصور الزوجة واقفة تتأمل النيل في القاهرة وفيه تلقي التقارير الطبية التي تؤكد إصابتها بسرطان الرحم ومسودة الكتاب الذي تؤلفه (المقطري، مصدر سابق)، وهو مشهد مغرق في اليأس من الحياة ومن ثورة الربيع العربي في اليمن.

وفي رواية سوق علي محسن ينتهي السرد بوصول جثمان الطفل يونس بعد وفاته نتيجة إصابة بطلق في الرأس في أثناء اشتراكه في إحدى المظاهرات المطالبة برحيل علي عبد الله صالح (الكوكباني، مصدر سابق)، وهو مشهد يظهر يأس الكاتبة من الربيع العربي في اليمن، فيونس طفل حرم من حقه في التعليم والتحق بسوق العمل مبكرا وفقد حياته في أول اشتراك له في مظاهرة.

ويتضح جليا مما سبق أن نزعة اليأس من المصير الذي آل إليه الربيع العربي في اليمن بدت جلية في كتابات الروائيات اليمنيات، إذ ختمت اثنتان منهن السرد بمشاهد مغرقة في اليأس.

الخاتمة:

لقد خلصت هذه الدراسة إلى أن تمثيل الربيع العربي والثيم المرتبطة به في كتابات الروائيات الخليجيات قليل إذا ما قورن بغزارة الكم الروائي المنتج في دول الخليج العربي بعد عام 2011م، والكاتبات الخليجيات صورن الربيع العربي بطريقة غير مباشرة، ولم يكن الثيمة الرئيسية في أعمالهن، فالشخصية الروائية تسافر للخارج ومن هناك ترسم صورة للربيع العربي كما في أعمال زينب حفني وأروى الوقيان، وحين تصور الكاتبة الخليجية الربيع العربي في قطرها تلجأ إلى تقنيات روائية كاستخدام الحُلم والجنون لتصوير الربيع العربي كما فعلت زوينة الكلباني. كما تفاوتت هؤلاء الروائيات في طريقة المعالجة، ففي حين بذلت زينب حفني وزوينة الكلباني جهدا في الاشتغال على تقديم الربيع العربي في أعمالهن ليبدو جزءا من نسيج العمل الروائي لا يمكن الاستغناء عنه، لم تول أروى الوقيان هذه الثيمة جهدا واضحا في روايتها؛ وذلك يعود ذلك إلى حداثة تجربتها الروائية مقارنة بحفني والكلباني، فهذه روايتها الأولى.

وفي المقابل بذلت الكاتبات اليمنيات جهدا واضحا لمقاربة ثيمة الربيع العربي في اليمن في أعمالهن موضع التحليل في هذه الدراسة، وإن تفاوتن في ذلك. ففي حين كان الربيع العربي هو الثيمة الرئيسة في رواية نادية الكوكباني (سوق علي محسن)، حضر بصورة موازية لحكاية زينب في رواية ندى شعلان (بئر زينب)، بل استخدمت الروائية حكاية زينب لتقدم سبرا عميقا لتاريخ اليمن المعاصر ومشكلاته التي قادت للربيع العربي فيه، وحكاية زينب – في رأيي–استخدمت بمقدرة عالية من الكاتبة لخدمة ثيمة الربيع العربي. وأما رواية بشرى المقطري فصورت التاريخ السياسي لليمن فيما بعد الثورة على الإمام وكيف قاد ذلك إلى ثورة الشباب اليمني في 2011.

حرصت معظم الروائيات على إظهار دور المرأة في الربيع العربي وصورنها بأنها المناضلة التي تسعى لتغيير واقعها الاجتماعي والثقافي، فثورتها لم تكن مثل الرجل من أجل تغيير الأنظمة السياسية فحسب، بل كانت أيضا ثورة ثقافية من أجل التحرر من سلطة الرجل نفسه. إن التركيز على دور المرأة من قبل الروائيات لم تكن فكرة عارضة في تصوري، بل هي رسالة مقصودة تذكر القارئ العربي بالنظام الأبوي المسيطر في الثقافة العربية.

وربطت الروائية في دول شبه الجزيرة العربية الربيع العربي مع ثيم الخوف والفساد والظلم والحرية واليأس، وهي الثيم التي ارتبطت بالربيع العربي كما ارتبط بها، فقرنت الروائيات من خلال تطور السرد وبناء الشخصيات في الروايات موضع الدرس بين الربيع

العربي وفكرة الخوف. هذا الحضور للخوف تنوع من إيحاءات عنوان الرواية كما في (خلف الشمس) إلى رسم صور متعددة للخوف المسيطر على الشخصيات الروائية قبل الربيع العربي وأثناءه وبعده. ونجد أن مقاومة الخوف والانتصار عليه كانا حافزين لبعض الشخصيات الروائية في المشاركة في الربيع العربي، وهي لم تكن مشاركات إيجابية دائما فبعض الشخصيات تدفع حياتها ثمنا لذلك.

وقرنت هؤلاء الروائيات بين الربيع العربي في الأقطار التي شملها وانتشار الفساد بصوره المتعددة في العالم العربي، فالفساد قاد بعض الشخصيات للمشاركة في الربيع العربي رغبة في الخلاص من القوى الداعمة له في منظومة المجتمع العربي. والكاتبات أيضا مزجن بين ثيمة الربيع العربي وثيمة الظلم، والأنثى في المجتمعات العربية وخصوصا القبلية منها –كما تصور هؤلاء الكاتبات – عانت معاناة مضاعفة من الظلم، فالرجل العربي إذا كان يعاني من الظلم والتهميش على نطاق المجتمع، فالمرأة تعاني منه على المستوى الأسري والمجتمعي، فالنظام الأبوي في الثقافة العربية –كما تصوره هؤلاء الكاتبات –يوفر حماية للذكر عند قمعه الأنثى باسم المحافظة على شرف العائلة والقبيلة حتى لو أدى ذلك إلى إيذاء المرأة جسديا ونفسيا.

وكانت الحرية دافعا لبعض الشخصيات الروائية في المساهمة في أحداث الربيع العربي كما يظهر في بعض هذه الروايات، وارتباط الحرية بالربيع العربي لم يكن مفاجئا، فالحرية والثورة متلازمتان لا يمكن فصلهما، إلا أن الرغبة في تحقيق الحرية تتحول إلى يأس عند بعض الشخصيات الروائية والسبب في ذلك المصير الذي آل إليه الربيع العربي في بعض الأقطار العربية. فالحرية واليأس من الثيم التي قُورنت بالربيع العربي في كتابة المرأة في دول شبه الجزيرة العربية.

واستخدمت معظم الروائيات مقاطع من اللهجة المحكية للبلد العربي الذي صورن ربيعه من أجل إظهار شعبية الثورة وقربها من الناس البسطاء، وللتدليل على اصطباغ الربيع العربي بلون البلد الذي حدث فيه، كما لجأن لأسلوب المقارنة مع الماضي إما لإظهار الواقع الصعب وتعريته، أو للحنين لزمن أظهر على غير حقيقته من قبل بعض النظم، وهن في ذلك يسعين لإعادة النقاش حول بعض الأفكار التي غابت أو غُيبت تحت شمولية الرؤية الواحدة.

المصادر والمراجع

أبو رفيعة، ف. (2006). نقد الثقافة تطبيقات نقدية في سوسيولوجية النص الروائي، ط1 القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص 8.

إكيدر، ع. (2016). صورة الربيع العربي في الإبداع الروائي المغاربي، بحث منشور في كتاب أعمال مؤتمر الرواية العربية في الألفية الثالثة ومشكل القراءة في الوطن العربي. الجزائر. ص79.

بن بوزة، س. (2016). الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، ط1 دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ص106.

جليس، ر. (2018). تمثيلات الربيع العربي في نماذج من الروائية العربية المعاصرة، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث. العدد الأول – المجلد الثاني. مارس 2018م. ص2.

حفني، ز. (2012). هل أتاك حديثي؟ ط1 بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،21، 22، 23، 26، 27، 29، 165، 166، 167، 169، 171، 179.

رحيم، س. (2014). سحر السرد دراسات في الفنون السردية، دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ص 56.

الركابي، ع. (2013). فرسان الأحلام القتيلة لإبراهيم الكوني الحُلم واقعا. مجلة علامات، عدد 39(2013م)، ص21.

شعلان، ن. (2015). بئر زينب، ط1، بيروت: هاشيت أنطوان، ص 10، 15، 16، 17، 20، 27، 30، 58، 72، 88، 94، 201، 214، 221، 239، 240، 263، 280.

الصائغ، و. (2008). شهرزاد وغواية السرد قراءة في القصة والرواية الأنثوية، ط1 بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 139–148.

العباس، م. (2011). سقوط التابو الرواية السياسية في السعودية. ط1، بيروت: جداول للنشر والتوزيع، ص12.

العنزي، س. (2014). في كهف الجنون تبدأ الحكاية للعمانية زوينة الكلباني: تحري عوالم الانفصال النفسي في الثقافة الشعبية، القدس العربي عدد 7918 الأربعاء 5 تشرين الثاني (نوفمبر) 2014، ص 12.

الغيلاني، س. (2013). زوينة الكلبانية في رواية في كهف الجنون تبدأ الحكاية، مجلة نزوى عدد73 يناير 2013، ص285–288.

الكلباني، ز. (2012). في كهف الجنون تبدأ الحكاية، ط1 بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 20، 21، 21، 26، 33، 56، 49، 58، 60، 61، 88.

كمال، هـ. (2015). النقد الأدبي النسوي. ط1 القاهرة: مؤسسة المرأة والذاكرة، ص 14.
الكوكباني، ن. (2016). سوق علي محسن، ط1 القاهرة: دار الهلال، ص 9، 10، 16، 17، 18، 20، 29، 43، 63، 114، 141، 194، 197، 257
مطر، س. (2014). أنا سنية...وأنت شيعي، ط9 دبي: دار مدارك للنشر، ص7.
مفتاح، ر. (2015). زمن السرد العربي قراءات في القصة والرواية، ط1 القاهرة: وكالة الصحافة العربية ناشرون، ص 10–11.
المقطري، ب. (2012). خلف الشمس، ط1 بيروت: المركز الثقافي العربي، ص 10، 14، 14، 15، 55، 55، 56، 57، 59، 60، 62، 63، 68، 85، 117، 190، 204، 206.
موريس، ب، عبد السلام، س. (2002). الأدب والنسوية، ط1 القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ص 36.
الناطور، م. (2017). التقاطعات الروائية والصحفية السورية الناشئة، مجلة ألف عدد 37. ص 142–176.
وادي، ط. (2002). الرواية السياسية، مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، ص 14.
الوقيان، أ. (2016). فلتكوني بخير، ط1 بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ص 9، 74، 77، 228، 229، 233، 234، 236.
يحيى، ش. (2014). دور الرواية العربية في الربيع العربي، ط1 القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،161–170.

ترجمة المراجع العربية إلى اللغة الإنجليزية

Abu Rafiah, F.(2006). *Criticism of Culture: Critical Applications in the Sociology of Narrative Text*.
Aukader, A. (2016). *The Image of the Arab Spring in Moroccan Novel*.
Bin Bozah, S. (2016). *The Identity and the Difference the Novel Written by Moroccan Arab Female Novelists*.
Jalis, R. (2018). *Representations of the Arab Spring in Contemporary Arabic Novels*.
Hefny, Z. (2012). *Did You Hear My Speech*?
Rahyym, S. (2014). *Narration's Charm: Studies in Narration Arts*.
Al-Rikaby, A. (2013). *Equestrians of Dead Dreams by Ibrahim Al-Kuny: the Dream as Reality*.
Shalan, N. (2015). *Zeinab's Well*.
Al-Sayigh, W. (2008). *Shahrazad and the Seduction of Narration: a Reading in Feminine Story and Novel*.
Al-Abbas, M. (2011). *Falling of Taboo: the Saudi Political Novel*. 11. Al-Anazy, S. (2014). *In the Cave of Madness the Story will Begin by Zwaina Al-Kalbaniy: Looking for Psychological Separation in Popular Culture*.
Al-Ghilany, S. (2013). *Zwaina Al-Kalbaniyah in her novel in the Cave of Madness the Story will Begin*.
Al-Kalbaniy, Z. (2012). *In the Cave of Madness the Story will Begin*.
Kemal, H. (2015). *Feminine Literary Criticism*.
Al-Kawkabani, N. (2016). *Ali Mushin's Market*.
Matar, S. (2014). *I am a Sunni Female and you are A Shitte Male.*
Miftah, R. (2015). *The Time of Arabic Narrative: Readings in the Story and the Novel*.
Al-Maqtari, B. (2012). *Behind the Sun*.
Morris, B & Abd al-Salam, S. (2002). *Literature and Feminism*.
Al-Nator, M. (2017). *Intersections in Emerging Syrian Fiction with Journalism*.
Wady, T. (2002). *The Political Novel*.
Al-Waqayan, A. (2016). *You Will Be Fine*.
Yahya, Sh. (2014). *The Role of the Arabic Novel in the Arab Spring*.

المراجع الإنجليزية:

Disch, L., and Hawkesworth, M. (2016). *The Oxford Handbook of Feminist Theory*. Oxford University Press.P.938.
Said, E. (1983). *The World, the Text, and the Critic*. Cambridge, Mass: Harvard University Press.p.4.
Zeidan, J. (1995). *Arab Women Novelists: The Formative Years and Beyond.* State University of New York Press. P. 3,143.

The Representations of Arab Spring in Feminist Narrative Discourse InThe Arabian Peninsula

*Ahmed Saleem Alatawi**

ABSTRACT

The Arab Spring occupied an ample space of the discussion in Arabic culture in the second decade of this century. As Arab woman's literature is an inherent component of Arabic culture, this study aimed to examine the presence of the Arab Spring in a female novelist's writing in the countries of the Arabian Peninsula. This study shows how the female writers deal with the theme of the Arab Spring and how they link it with other themes such as fear, corruption, injustice, freedom, and despair. The novels are: *Did you Hear my Speech* by Zeinab Hefny, *In the Cave of Madness the Story will Begin* by Zwaina Al-Kalbaniy, *You Will be Fine* by Arwa Al-Waqayan, *Behind the Sun* by Boshra Al-Maqtari, *Zeinab's Well* by Nadah Shalan, and *Ali Muhsin's Market* by Nadiyah Al-Kawkabani. This study analyzes these novels from a feminine point of view.

Keywords: Woman's literature, the Arabian Gulf States, Yemen, the Arab Spring.

* Department of Arabic Language, Tabuk University, Saudi Arabia. Received on 4/5/2019 and Accepted for Publication on 19/2/2020.